الربيع الاخير

لمياء هذا جبين الفجر قد سَفَرا ... ومويسم الحبّ عنّا مرمعٌ سَفَرا
وأضيع الناس من يمضي الشباب ولا ... يقضي من الحب في ايامه وطرا
طيري نزوّدْ قليلاً من لذائذهِ ... ماذا يسفينا بخيلٌ زُوِّد العُمُرا؟!
إن يرمنا برفاتٍ من ازاهره ... فقد خلعنا عليهِ الرِّيق السَّفرا
طيري نقرّمع الاسراب في فُرَصٍ ... ان طرنَ لن تجدي حبًّا ولا ثمرا
غداً نذوبُ الى الاعناب من ظمإٍ ... ونهبط الكرمَ لا نلقى لها اثرا
لنا من الشفق السحريّ اجنحةٌ ... فما التفافُكِ في جنحي دُجًى وكرى
عيبٌ علينا نكون البلبلين ولا ... نشارك الطير في اعيادها سَحَرا!
أما ترين الدجى لمّت غدائرهُ ... سوداً فنشرها رأد الضحى شُقُرا
وقد فشا بين اضلاع النوافذ من ... عطر الخمائل سرٌّ حرّك الشررا
والغاب ألّف جرقاً من عشيرته ... الريح والنهر والاطيار والشجرا
والبدر كالشاعر العصريّ عاد ضحى ... من مرقص النجم يشكو الضعف والحورا
يمشي الى الساحل الغربيّ متّئداً ... كالشيخ في سفح تلّ الافق منحدرا
والارض حارت أتلقى الفجر ضاحكةً ... لأنّها الشمس أم تبكي ابنها القمرا
والليل فرّ فرار العبد حين رأى ... مستودع السُّور في آفاقها انفجرا
والصبح أرخى نقاباً من اشعّته ... أخفى به الزّهر لمّا أعلن الزّهرا
سبحان من أبدع الانوار معجزةً ... ان شاء ابدى بها الاشياء او سترا
والريح تنفح نايات الغصون على ... سمع العقيق فيجري دمعه غُدُرا
لمحت على أرزها المهجور شارحةً ... ما رجّع الشاعرُ المنفيّ مختصرا
حتى اذا لطّفت بالبثّ لوعتها ... وصدّعت بمراثي حبها الحجرا
راحت تُغَلّي نواصي الدّوح ساكبةً ... من قمقم الفجر اذكى ما الندى قَطَرا
والنهر سلح كأنّ البحر مدّ يداً ... بين المزارع تُهدي الماء والدُّرَرا
طوراً له زأرة الدّرزيّ ثار على ... جلاّده والى استقلاله نفرا
وتارةً عِلاّ الوادي تهدّدُهُ ... كأنّ لبنان في اغلاله زفرا
وللجداول أنّات مرجّعةٌ ... كأنّها فُجّرت من اكبد الشُّعَرا
ينصبُّ سنّاها خمراً معتّقةً ... كادت تشعشع منها القطرةُ النّهرا

كالقصن من طيب رياها ترنحهُ والطير مما حسا من سلسها هذرا
وللسحاب ثنيّاتٌ مُصَفَّقةٌ بيضٌ كأنَّ عيوزاً جمّدت شعرا
تذهّب الشمس اطراف اللجين بها كما توشي يد الزوقية (١) الحبرا
وللغمامة اذيالٌ معطرة مثل البخور علا في الصفح وانتشرا
كأنما التلّ أمّ النهر منفرداً ثم استحى من عيون الفجر فاتزرا
والطودُ حصنٌ وراء السحب ممتنعٌ والسُّرح قامت على اسواره خُفُرا
كأنَّ دارعةً يوم الوغى ضربت دخانها فوق ابصار العدى ستِرا

***

هيّا الى الغاب اني قد بنيتُ لنا من الرياحين عشّا ليّناً عطِرا
تحنو علينا ظلال الأيك رقّطها من الأشعّة كفٌّ ترسم السّمِرا
اذا سئمنا ذُرى أفنانها سُرُراً مدّت لنا الارض من اعشابها حُصُرا
فُرّي اليهِ معي عند المساء ولا تروي الى بشرٍ من امرنا خبرا
اني كريمٌ احب المال مشتركاً لكن غيورٌ اريد الحسن محتكرا
إياكِ ! لا تجعلي في الحب غرتنا خلاً ولا تسخي فردوسنا سَقَرا
لا تأملي من جوار الناس منفعةً فلتبتعد عن حمام تأمن الصّرَرا
لم يعمروا من بقاع الارض غامرةً إلاّ وقد غمروا بالشرّ ما عُمِرا
لا تعبري السوق إلاّ بعد بسملةٍ فالبحرُ اسلمُ من سوق لمن عبرا
تلك الصفائح في ابوابهم مُلِئت —مما بهِ ملأوا أجرافهم— قذرا..
خوّلي الطرف عنها واحذري خطراً من كل درب بهِ عزريلهم خطرا
وحش المدينة ما ذئب الفلاة عوى حول الخباء وما ليث الشرى زأرا
وما فحيح افاعي الغاب محنقةً اشدّ وقراً على الاسماع ان جأرا
تدمي السوابل منهُ كل داهية دم الأنام بها هدرٌ لمن هدرا
حطمُ الاضالع إن واقاهم قُتُلا وخانق الغار إن ولاّهمُ دُبُرا
كاللصّ يتعلُ المطّاطَ من حذرٍ ولا يحذّر حتى يُبطِلَ الحذرا
(فوردٌ)، وهل راكبٌ رجليهِ يجهل ما (فوردٌ) وزمرته؟ أثّم بها زُمرا ! !
كأنهنّ دواليب المنون جرت تغتال كل بريءٍ في الطريق جرى ...

***

حسّونتي حسبنا في دُورهم جزعاً وحسبنا ما لقينا بينهم عبرا

(١) نسبة الى « الزوق » من قرى لبنان وقد اشتهر اهلها بالتطريز بخيوط الذهب والفضة

الطير منهم الى أوكارها لجأت فلنجتنب في زوايا عشنا الخطرا
ما أبهج القفر عنهم سوف يُبعدنا وما أحنّ علينا الباز والصقرا ! !
لا ! لا ! دعيني وحدي لا اريد معي إلاّ الكتاب وإلاّ العود والوترا
خُلِقتُ للشعر في الغابات انشده حرًّا، وما أضيع الأحرار في الأسرا ! !
وأسمع الروض منهُ كل مبتكرٍ لم يُسقِ للبلبل الصدّاح منكرا
فرَفرِفي أنتِ في القضبان ناعمةً وأطربي السقف بالالحان والجدُرا...
لا تبرحي قفصاً صوّرتِ زخرفهُ ولا تقولي حبيب القلب بي مكرا ! !
ماذا تلاقين من حلي ومن حُلَلٍ في الغاب تقتنك السمع والبصرا ؟ ؟ ؟
ومن غرائب أفلام اذا نطقت اشباحها خلت يوم البعث قد حضرا ؟ ؟ ؟
وكهرباء اذا انوارها سطعت توارت الشمس من لألائها خفرا ؟ ؟ ؟
ووجهاتٍ كأرماس الملوك حوت ما عزّ من تحف الدنيا وما ندرا ؟ ؟ ؟
ما في الحقول سوى درّ الندى وسوى ماس الشعاع حليٌّ تبهر النظرا . . .
كأنما القبة الزهراء شفّها وهج الضحى فبدا بلورها شذرا . . .
ولن ترى سوداً فيها مشتحةً الاّ السماء والاّ الانجم الزهُرا . . .
ولا محافل الاّ الطير شاديةً ولا منابر إلاّ المِيسَ الخضرا . . .
ولا معارض أزياء سوى قِطَعٍ من الرياش عليها اللؤلؤ انتثرا . . .
على ضفاف السواقي مُدَّ مُخملها وفوق هام الربى ديباجها نُشرا . . .
هيف الغصون تماثيلٌ لها ودُمى وبانع الزهر ازرارٌ لها وعُرى . . .

***

هذي سخافات اهل الفنّ ينشدها من رهطهم كل من غنى ومن شعرا ! !
وأنتِ من فئة للجدّ التي زعمت ان السعادة بيعٌ دائم وشرا ! !
حتى كراتهم في شرعهم سلعٌ لن تبرحَ الخدر حتى تُنقد المهرا ! ! !

***

يا ساكن القصر لا تهجر مشارفه أأنت من اجل كوخ تترك القصرا ؟ ! !
وهل لكنى بُيَيتٍ فرشهُ حجرٌ تفارق الغُرف النورا، والحجرا ؟ ! !
من ذا يبدّل بالأبهاء مزرعةً وبالطنافس طين الحقل والمدرا ؟ ! !
ومن يميلُ عن الغزلان آنسةً أسرابهنّ ليرعى الشاء والبقرا ؟
ما بالخيام لارباب القصور غنىً وليس للبدوشي يعجب الحضرا . . .

خل الهيام بجنات مزخرفة لشاعر يعشق الاوهام والصورا
نحن الفلاسفة الحمق . . . لنا ولع بالغاب حتى نكره البشرا
لا تشتكي الريح هبت عن حواضرهم حتى تجوز حقولاً رصعت بقرى
ولا تتم النسا إلا وقد قطرت اذيالها من ندى اسحارنا عطرا
لجن عبقر من كتابنا صحب وللشياطين من شعارنا عشرا
تسري بنا من سماء الوحي في حبك خضراء تطلق في اجوازها الفكرا
تنحل فيها طيوف النور سائغة روضاً من السحر باللألاء مزدهرا
وينشر الطب في ارجائها أرجاً لو شم جبريل منه نفحة سكرا
اذا شرعنا له اقلامنا نفثت سحراً، ألم تقرأ الآيات والسورا؟

***

لا يثبت الدين بغضاً في مزارعنا مهما اخو الجهل من اشواكه بذرا
الكل فينا جنود للاخاء فما في دولة الشعر نواب ولا وزرا
أما الطغاة : فلا تخشى صوالجة وكم نصبنا لها هاماتنا أكرا
نستعذب الموت من اجل الحياة فما يجني الورى الشهد حتى نجني الابرا
عفنا القشور وهمنا باللباب فلا يزر الجهول علينا أننا فقرا
لا تقدر الناس إلا بالعقول ولا نقيم للمال وزناً قل او كثرا
ولا نساوي بقرم من نوابغنا كل الأولى اشتهروا فوق الثرى بثرا
نور المسيح تجلى من مذاودنا وسيف احمد من صحرائنا شهرا

***

وهل سمعت بغندي ؟ انه جمل في الهند ثار على الضرغام وانتصرا
ان كان ثاب عليه العري مستتراً فان آدم لولا الاثم ما استترا . . .
هذا الضعيف الذي لو هزه ولد لاندق كالعود في كفيه مندثرا
هزوا الحسام فلم يخفل وهز لهم غصن السلام فهز البحر والجزرا
وغادر السيف يحكي غمده فلا فاعجب لغصن يفل الصارم الذكرا

***

قل للذي تاه بالاسطول مفتخراً البغي لؤم فتهْ بالعدل مفتخرا
لا بد للضعف من ظلم يثور به والويل للظلم من ضعف اذا ثأرا
يا صاحب الحق قد حالفت مقتدراً فلا تخف، ماصحبت الحق ، مقتدرا

سان باولو اول اذار (مارس) سنة ١٩٣٢ الشاعر القروي